

## تعليمية اللغة العربية في ضوء المنهج التداولي (التعليم الابتدائي الجزائري بين الواقع والمأمول)

*linguistics are to acquire linguistic and communicative competence, whether for speakers of Arabic or for speakers of other languages*

أ.د حاكم عمارية<sup>\*1</sup>،

جامعة القصيم بالمملكة العربية السعودية<sup>1</sup> الإيميل المهني: hakem@qu.edu.sa

تاريخ النشر: 2024/06/13	تاريخ القبول: 2024/05/30	تاريخ الإرسال: 2024/04/01
-------------------------	--------------------------	---------------------------

### ملخص:

التداولية في أبسط تعريف لها هي العلم الذي يدرس اللغة أثناء الاستعمال، وعلى أساس الاستعمال فإنه لا يمكن أن يكون هناك تواصل، حيث إن التواصل أو التماثل أو التفاعل لا يتم إلا بوجود مرسل ومرسل إليه ورسالة، أي بين متكلم ومستمع وموضوع؛ ومهما تعددت مصطلحات المتكلم والمخاطب، أو السامع والمخاطب (بفتح الخاء) فإن التواصل يشمل المعلم والمتعلم والمادة التعليمية، وبناء على ما جاءت اللسانيات التداولية من مبادئ التعاون والكم والكيف، وانطلاقاً من أسئلتها العلمية الممنهجة؛ من المعلم؟ ومن المتعلم؟ وماذا نعلم؟ وكيف نعلم؟ ولماذا نعلم؟ فقد أوضحت معالم العملية التعليمية، إذ لا بد من تسطير الأهداف والأغراض التي ينبغي تحقيقها أو الوصول إليها. وعلى هذا الاعتبار فإن أهداف التدريس في اللسانيات التداولية هي اكتساب الكفاءة اللغوية والتواصلية سواء بالنسبة للناطقين باللغة العربية أو للناطقين بغيرها.

وضمن مبادئ اللسانيات التداولية سأعالج في ورقتي البحثية- إن شاء الله - كيف يمكننا الاستفادة منها في مجال تعليمية اللغة العربية، وكيف يمكن استثمار مبادئ العالم غرايس في تيسير العملية التعليمية بالإضافة إلى مبادئ تشومسكي في ثنائية الكفاءة اللغوية والأداء، معرجة إلى أسس تعليمية اللغات وفق البرامج التعليمية الحديثة من أجل تعليم أفضل في المدرسة الابتدائية الجزائرية التي يجب عليها أن تتماشى وتطورات العصر الحاصلة، وذلك بتكوين المعلم والمتعلم مع رسم الأهداف المتوخاة مستقبلاً من عملية تحديث المناهج العلمية. خاصة وأن مبادئ التداولية ترسم بدقة كفايات وطرائق التدريس، لأنها تجيب عن كثير من الأسئلة التي تشغل المعلم والمتعلم، كما ترسم الأهداف التي سيحققها المتعلم من تلقية للعلوم والمعرفة.

\* حاكم عمارية

الكلمات المفتاحية: التعليمية؛ التداولية؛ اللسانيات؛ الديداكتيكا؛ المهارات.

### Abstract:

Pragmatics, in its simplest definition, is the science that studies language during use. On the basis of use, there can be no communication. Communication, dialogue, or interaction only takes place in the presence of a sender, an addressee, and a message. That is, between a speaker, a listener, and a subject. No matter how many terms there are speaker and addressee, or hearer and addressee (with fatha kha), communication includes the teacher, the learner, and the educational material, based on what pragmatic linguistics has come up with in terms of the principles of cooperation, quantity and quality, and based on its systematic scientific questions; Who is the teacher? Who is educated? And what do we know? How do we know? Why do we know? It has clarified the features of the educational process. It is necessary to outline the goals and objectives that must be achieved or reached. Based on this consideration, the goals of teaching in pragmatic linguistics are to acquire linguistic and communicative competence, whether for speakers of Arabic or for speakers of other languages .

Within the principles of pragmatic linguistics, I will address in my research paper - God willing - how we can benefit from them in the field of teaching the Arabic language, and how Grice's principles can be invested in facilitating the educational process, in addition to Chomsky's principles in the duality of linguistic competence and performance, referring to the foundations of language education according to programs. Modern education for the sake of better education in the Algerian primary school, which must keep pace with the current developments of the era, by training the teacher and the learner while setting the goals envisaged in the future from the process of modernizing scientific curricula. Especially since the principles of pragmatics precisely define the methods and methods of teaching, because they answer many of the questions that preoccupy the teacher and the learner, and they also define the goals that the learner will achieve by receiving science and knowledge

**Keywords:** Pragmatic; Education; Learning; linguistics; skills.

### 1. تمهيد:

مر التعليم في الجزائر بمراحل متعددة بعد الاستقلال؛ حيث كان أول قطاع تهتم به الدولة؛ هو قطاع التعليم؛ لأن التعليم هو أس رقي الأمم والحضارات، وعلى الرغم من قلة المعلمين والمؤطرين والهيكل البيداغوجية، إلا أن التعليم كان في قمة الجودة والرقي، ومع مواكبة التطورات الحاصلة في العالم كله، سعى صناع القرار إلى النهوض بالتعليم أكثر

استجابة لتطورات العصر، فتغيرت البرامج والمناهج حيث تم استيرادها من الغرب بغية تطبيقها في البيئة الجزائرية أو العربية على وجه العموم، وبعد مرور فترة من الزمن اتضح أن التعليم في الجزائر بدل أن يتطور كما كان يتوقع له، فقد تدهور حيث إن كثرة البرامج واختلاف المناهج التي نشأت وتأسست في بيئة غير عربية، ومن قبل مفكرين غرب لم تؤت أكلها في البيئات العربية عامة.

واليوم تنادي معظم الدول العربية بإعادة النظر في المناهج والبرامج والكتب المدرسية من أجل جودة عالية في التعليم لكن المشكل لم يكن في المناهج الغربية، بل في عدم فهمها على الوجه الذي أراده مشرعو هذه المناهج والبرامج التي نعتقد أنها قامت على أسس علمية موضوعية؛ معتمدة على نظريات علمية كالنظرية المعرفية والنظرية السلوكية ونظرية التحليل النفسي، ونشير إلى أن النظريات المذكورة؛ كانت تعتمد على عملية التعزيز الإيجابي والدافعة من قبل التلاميذ لتقبل التعليم.. (وزي، 2015، صفحة 25)

## 2. دور نظريات التعليم:

أ. النظرية السلوكية: «تري أنه بفعل التعزيز الإيجابي والثواب والعقاب: فإن الفرد منذ السنوات المبكرة من حياته ينقاد للبحث عن بعض المواقف وتجنب الأخرى، وتبعاً لذلك تتكون لديه الاتجاهات الأولى؛ فمثلاً يكرر الطفل سلوكاً معيناً لأن هذا السلوك سبق وأن صدر منه في موقف معين وتم تعزيزه من قبل أفراد محيطه».

(وزي، 2015، صفحة 25) .

ب. نظرية التحليل النفسي: ترى هذه النظرية أن الدوافع الغريزية، ودوافع العدوان المكتومة تظل نشيطة وفاعلة في اللاشعور وتعبر عن نفسها بكيفيات وطرائق ملتوية أو رمزية. (وزي، 2015، صفحة نفسها)

ج. النظرية المعرفية: تعتبر هذه النظرية تكميلاً للنظريتين السابقتين ولكنها تضيف إليهما العامل العقلي، فالإنسان يعرض بوعي تام الأهداف التي يسعى إلى تحقيقها، ثم يقوم بعملية مقارنة لوسائل بلوغ هذه الأهداف أو المعيقات التي حالت دون الوصول إلى تحقيقها، ليقرر في النهاية السلوك الملائم لانتهاجه والسير على خطاه.

(وزي، 2015)

وعلى هذا الأساس تولدت مصطلحات من قبل:

3. التدريس بالأهداف: انطلاقاً من النظريات السابقة يكون مشرع المناهج التدريسية قد توصل إلى تسطير الأهداف المرجوة من التعليم في كل مرحلة؛ وهذا الذي يدعى التدريس بالأهداف؛ حيث يدرك المعلم أن كل مادة أو كل حصة سيقدمها لتلاميذه ستحقق هدفاً جزئياً وفي نهاية المرحلة الأولى أو السنة الأولى من التدريس، يكون المتعلم الهدف قد حقق في السنة الأولى ابتدائي مثلاً عدة كفايات؛ إدراك الحروف، إدراك القواعد النحوية البسيطة، إدراك جدول الضرب والجمع والطرح والقسمة، إدراك الأعداد، إدراك مهارة الكتابة وهكذا مع كل المراحل اللاحقة.

وإذا كان التعليم هو نشاط علائقي وتواصلي، فإن الدور الأساس يعزى إلى المعلم لأنه هو الذي يقوم بتنظيم وتنشيط الوضعيات والأنشطة المفيدة للمتعلم؛ إنه يغدو مبدعاً ومرافقاً ومدير الأوضاع ومواقف التكوين؛ فدوره كمرافق أكبر من دوره كناقل المعارف، فالمعلم مكلف بمعرفة كيف يشتغل بأسلوب وضعيات ومشاكل البحث ودراسة الحالات والمشاريع المفتوحة، مما يتطلب منه تكويناً ديداكتيكياً دقيقاً حتى يكون قادراً على فهم استدلالات

واستراتيجيات وأخطاء التلاميذ ليجد لها الحلول الضرورية (وزي، بيداغوجية فعالة ومحددة كفايات التعليم والتعلم الجديدة للقرن الواحد والعشرين، 2017، صفحة 66)

#### 4. دوافع الإصلاحات التربوية:

##### 1.4 العولمة:

منذ أن انتشرت وسائل التكنولوجيات الحديثة، تسرب التغيير إلى كل العالم العربي بشكل كبير؛ أكثر من الفترة التي تلت استقلال مستعمرات كل من فرنسا وبريطانيا وإنجلترا، وفي ضوء هذه التطورات التكنولوجية الحديثة؛ سارع العرب إلى استرداد الثقافة العلمية عبر مناهج التعليم من الغرب، فوصلتهم الثقافة العلمية عبر منظومات التقنية المستخدمة في الحياة الغربية الحديثة، والتي جاءت في الواقع ضمن أنظمة التقنية التي تطلبها أو تفرضها نماذج التنمية الحديثة؛ مثل منظومات الزراعة والصناعة وشبكات الماء والكهرباء والطرق والمواصلات... وهنا تطلب الأمر برامج للتعليم والتدريس الفني والمهني، إلا أنه لحد الساعة لا تزال التقنية العلمية في حاجة إلى تطوير وتعديل لكي تحقق هدفها المتمثل في تأهيل الأيدي والعقول العربية لتستخدم أو تبتكر تقنية بكفاءة عالية وفعالة. (المناري، 2013، الصفحات 138-138)

2.4 الضرورة البيداغوجية: لا شك أن التعليم الابتدائي هو مركز كل التحولات والتغيرات اللاحقة؛ حيث يمثل الطفل الحقل الذي تجرب عليه الدول مدى نجاعة مناهجها وبرامجها، لذلك فإن أول تغيير يحدث سيبدأ بالكتاب المدرسي الذي يجب أن يتفق على إعداداته مجموعة من ذوي الاختصاص بالإضافة إلى الطبيب، المهندس، الاقتصادي وعالم النفس لأن الطفل تتجاذبه دوافع متعددة.

وكما يشاع فإن الطفل مثل الصفحة البيضاء التي تحتفظ بكل ما يخط عليها؛ وهذا ينطبق على ذاكرة الطفل، ومن هنا تنادي الضرورة البيداغوجية بتكامل العلوم أو بما يسمى بالعلوم البينية من أجل إعداد الكتاب المدرسي لكل الفئات العمرية، والمراحل التدريسية.

ولا نعتقد أن مجتمعاتنا العربية تستدعي عالم الفقه، أو عالم الاجتماع أو عالم اللسانيات أو الطبيب أو عالم الاقتصاد لإشراكه في إعداد الكتاب المدرسي؛ فعادة إن الذين يسهرون على إعداداته يكونون من قدامى المعلمين والمفتشين والمدراء المتقاعدين، وهذا من الناحية العلمية الموضوعية يمثل خطأ فادحاً في حق التلميذ، فالتلميذ كائن بشري؛ يشعر ويتألم، يحب ويكره، يستجيب ويرفض، ينسجم ويتفرد وهكذا فهو ليس آلة أو فأراً نطبق عليه فرضيات منظرين أو علماء.

ولعل عدم إشراك جل المتخصصين في العلوم البينية هو الذي انجر عنه تقديم نصوص أو دروس إلى التلاميذ لا تنسجم وأعمارهم أو ذهنياتهم أو حالاتهم النفسية وبدل أن يتطور التدريس في البلدان العربية تراجع وتقهر، وإذا عرف الداء تم إيجاد الدواء، واعتماداً على العلل والمعلولات؛ انقل التعليم إلى مناهج أخرى وبرامج مناسبة لها، فتولد مصطلح آخر في نظام التعليم الجديد، وهو نظام التعليم أو التدريس بالكفاءات فماذا نعي به؟

5. التدريس بالكفاءات: في كل مرحلة من مراحل التعليم يزود المركز الوطني للوثائق التربوية المعلمين والتلاميذ بكتب جديدة تتلاءم من وجهة نظر واضعي الكتاب المدرسي وحاجة التلميذ التي تنسجم مع تطورات العصر؛ فالكتاب المدرسي هو حوصلة لتجارب سنين عديدة، وثمرة لجهد علمي كثيف وعصارة للبحوث الطويلة

والعميقة في التربية ولذلك عد التدريس بالكفاءات أفقا مستقبليا ومكسبا معززا، ويعتمد التدريس بالكفاءات على كفاءة المعلم والمتعلم معا، لذلك خصص تكوين بيداغوجي للمعلمين في نهاية كل أسبوع أو نهاية كل شهر.

وبدخل التدريس بالكفاءات ضمن الإصلاحات التربوية الجديدة في كل الأطوار التعليمية، حيث يقوم هذا النظام الجديد في التعليم على تبني مقاربة علمية جديدة تهتم بالأداء والإنجاز، وتتمثل هذه المقاربة في «مقاربة التدريس بالكفاءات» التي تركز على منطق التعلم دون التعليم، حيث يمثل التلميذ محور العملية التعليمية، ولعل تحديث التعليم والمناخات بالإصلاح راجع إلى انتقال الدولة من نظام سياسي أحادي إلى نظام التعددية السياسية، وإلى ظهور التكنولوجيا الحديثة وأثرها في تطوير التعليم وفي مواكبة العصر، ولعل السبب الأهم لدعوة الإصلاح التربوي هو تدني مستوى التلاميذ.

ويعتمد التدريس بالكفاءات على (القدرة والإنجاز)، وذلك أن اشتغال القدرة يتميز بنوع من التجدد المستمر في الإنتاج، ويستوجب الجانب المتجدد والاستمراري ضرورة الاحتراس وتتميز القدرة من منظور (تشومسكي) بخاصية الخلق والإبداع، وأما الإنجاز فهو التنفيذ العملي لقواعد القدرة وآلياتها وللعوامل الخارجية أهمية قصوى في تحليل الإنجاز وبالنظر إلى ما يحتويه من معلومات هامة تتعلق بثقافة الفرد وسلوكه النفسي ووضعه الاجتماعي، فإنه يحمل مؤشرات حقيقية مساعدة على دراسة السلوك البشري في محيط وبيئة معينة. (غلفان، 2016، الصفحات 81-82)

وفي باب الاختيار التربوي وأسئلة البيداغوجيا؛ فإن المدرسة تعد محركا أساسيا للتقدم الاجتماعي كما تنص على معظم التوجهات التربوية العامة، واعتبار المدرسة مجالا حقيقيا لترسيخ القيم الأخلاقية، وقيم المواطنة وحقوق الإنسان، وممارسة الحياة الديمقراطية، فإن هذا المطلب بقدر ما يفرض على البيداغوجيا واجب الاستجابة، بقدر ما يعطيها حق الاشتراط، فقد يقول اليوم رجل السياسة مثلا: علينا أن نغير جهازنا التعليمي والتكويني حتى نضمن الاستجابة لمتطلبات وحاجيات سوق الشغل وعلى هذا الأساس يكون من واجب البيداغوجي أن يوظف بعين الاعتبار مطلب الاستجابة لحاجات سوق التشغيل، على أن يكون من حقه في الوقت نفسه الاحتفاظ بصلاحيات تحديد الأهداف التي من أجلها سيتم تغيير وظيفة الجهاز التعليمي تغييرا جذريا.

(الإدملود، 2012، الصفحات 64-65)

وعلى اعتبار تحديد الأهداف: فإنه لا ينبغي الاعتقاد بأن «اعتماد التربية على القيم وتطوير الكفايات التربوية... كمدخل بيداغوجي لمراجعة مناهج التربية والتكوين» منتهى النقاش البيداغوجي؛ بل إنه البداية والمدخل لتفكير المدرسة في معناها على أن لا ينسبنا هذا أن الحقل الذي يغذي مفهوم «الكفاية» كمفهوم مؤسس للمقاربات البيداغوجية الجديدة هو حقل العلاقة بين مكتسبات التكوين والوضعيات المهنية وهو حقل يضع على رأس جدول أعماله: سؤال العلاقة بين المكتسبات المعرفية والأنشطة السوسيو مهنية، فلقد أصبح مطلوبا من تكوين المعلم، وتعلم التلميذ أن يؤهلهم لاستثمار «المعرفة» في حياتهم المهنية والدراسية، بهدف المردودية وتبرير كلفة التكوين وذلك منذ أن أصبح الرأسمال اللامادي مكونا أساسيا من مكونات العملية الإنتاجية.

ومهما اختلفت الأنظمة التعليمية؛ فإن أمامها تحديات كبرى: أهمها تراكم المعلومات وتدفعها، ضرورة الجواب على سؤال المعنى؛ لذلك فإن التخفيف من حدة الفشل المدرسي: يمر من التفكير في نظام التقويم الذي يحتم استحضار مقياس المصداقية الخارجية، كما أن مقياس الفاعلية الداخلية يفرض التساؤل عن المعارف الضرورية التي تؤهل التلميذ للانتقال من مستوى إلى آخر، وبعيدا عن الإغرامات السوسيو مهنية والمؤسسية، يمكن القول إن اعتماد مفهوم «الكفاية» في الحقل البيداغوجي بما يفتحه من مجال لإعادة النظر في الوظيفة

الرئيسية للمدرس، يمكن أن يكون مدخلا لمساءلة المدرسة في علة وجودها وغاياتها وأنماط اشتغالها. (الإدملود، 2012، الصفحات 67-68)

وانطلاقاً من مساءلة المدرسة: لماذا نتعلم؟ وماذا نعلم؟ وماذا نتعلم؟ وكيف نتعلم؟ وما هي معيقات التعليم والتعلم؟ يدخل المنهج التداولي ليجيب عن هذه الأسئلة والتساؤلات من خلال المبادئ التي سنبا العالم غرايس «مبادئ التعاون»، ومن خلال أفعال الكلام (لأوستين) وتلميذه (سورل) علماء التداولية والحجاج، وكذلك يورغن هابرماس، فماذا عن التداولية.

6. التداولية: في أبسط تعريف لها هي العلم الذي يدرس اللغة في الاستعمال، أو يدرس الاستعمال الحي للغة، أي دراسة اللغة من قبل ذويها؛ «وإذا ما حاولنا تتبع تاريخ التداوليات في علاقاتها باتجاهات البحث اللساني الحديث، وخاصة المدرسة التوليدية، ألفينا (تشومسكي) في مرحلة مهمة من مراحل تطور الدرس اللساني، قد ماز بين (الكفاية والأداء) معتمدا في هذا على أساس سيكولوجي في تعامله مع الظاهرة اللغوية... فإذا انتقلنا إلى مرحلة زمنية أكثر تقدماً وجدنا أن التداولية بوصفها دراسة استخدام اللغة، تمثل شكلاً مميزاً في دراسة الأداء ليس في بعده السيكولوجي فقط وإنما في بعده الاجتماعي والثقافي أيضاً».

واستناداً إلى وظيفة المنهج التداولي أو التدريس بالكفاءات يمكن اعتماد (قواعد غرايس) في العملية التعليمية، وذلك أن يكون المعلم واعياً بما سيقدمه، ومدركاً للأهداف التي يريد تحقيقها؛ لا مجرد إلقاء الدرس للتلاميذ لأنه مبرمج؛ وهذه المبادئ هي كالآتي:

#### 1.6 قاعدة الكم:

- إخبار السامع بالقدر الذي يحتاجه دون زيادة.
- توفر القدر المطلوب من المعلومات.
- يجب أن لا توجز إلى حد الإخلال، ولا تطنب إلى حد الإفراط، وتتفق هذه القاعدة مع (ظاهرة الحذف والاختصار والاتساع) في اللغة العربية، وقد أشار سيبيويه إلى هذه القواعد في كتابه منذ قرون، وعلى الرغم من كل الاجتهادات في تيسير عملية تدريسية النحو العربي في المدارس العربية والأجنبية فإنه لم يتمكن لحد الساعة التخلي عن القواعد السيبيوية لأنها نابعة من البيئة العربية لمستعملي اللغة العربية.

#### 2.6 قاعدة الكيف:

- عدم إعطاء المعلم للمتعلم معلومة لا يملك دليلاً على صدقها أو صحتها (عدم الإلغاز).
- لا تقل للمخاطب ما تعلم كذبه (باب الاستقامة في اللغة، وهو باب في كتاب سيبيويه تفرعت عنه أسس نحوية وبلاغية كثيرة).
- لا تقل شيئاً تحتاج فيه إلى حجة أي لا تقل ما ليس لديك عليه حجة أو دليل أو بينة (لا تقدم قواعد نحوية عشوائية لست متأكداً من صحتها).

وتعتمد (قاعدة الكيف) على القياس في حال انعدام قاعدة نحوية واضحة، مثالنا لذلك محمد رسول الله فالقاعدة هي أن الجملة الاسمية هي التي تبتدئ باسم معرف مرفوع وأما الخبر فيتنوع من اسم نكرة مرفوعة أو جملة فعلية أو جملة

اسمية أو شبه جملة، ولكن في حالة تساوي المبتدأ والخبر في الرتبة، فالأصح أن يكون الاسم الأول مبتدأ والاسم الثاني خبراً.

وفي مثال آخر عن المفعول به: ضرب موسى عيسى هنا لا نعرف الضارب من المضروب، والقاعدة تقول ( فعل + فاعل + مفعول به)، لكن قد يتقدم المفعول به جوازا أو وجوبا لفائدة يريدتها المتكلم تفهم من خلال سياق الكلام كما في قواه تعالى: «إنما يخشى الله من عباده العلماء» سورة فاطر الآية 28.

### 3.6 قاعدة الورود:

تتمثل هذه القاعدة في مناسبة المقام لمقتضى الحال يقول سيبويه: «سمعت تكبيرات القوم وكنت بعيدا عنهم ولكن على مرأى منهم، فقلت: الهلال ورب الكعبة» أي هلال شهر رمضان الموجب للصيام، وتتضمن هذه القاعدة أنه لكل مقام مقالا، فالتكبير دلالة على ظهور شهر الصيام، وهذه وسيلة من وسائل قوم ذلك العصر، وحاليا فالوسائل التكنولوجية هي سيدة الموقف، لذلك تطور علم الفلك بتطور التكنولوجيات، فأصبحنا نعرف كل الشهور والأعياد الدينية دون اللجوء إلى الرؤية البصرية العادية ومعنى هذا أن بعض الكلام أو بعض السلوكات تفهم من خلال ورودها في سياقها، أو كمثال سيبويه: هذا جحر ضبٍ خربٍ/خربٍ/، فهنا قد يقع التباس وإلغاز، ولكن بإعمال شيء من الفكر وتحليل الجملة إلى عناصرها وربطها بسياقها يتضح الغموض فالمفردة (خرب) هي وصف للجحر وليس للحيوان (ضب).

### 4.6 قاعدة الكيفية:

تتضمن هذه القاعدة آداب الخطاب والحوار وطريقة الأداء.

كن واضحا، لا تلغز، تجنب الغموض، تجنب الالتباس، ليكون خطابك للمتعلم الهدف مركزا، منظما، كن مؤدبا، يقول سيبويه بهذا الشأن «قفِّ على هذه الأشياء حيث وقفوا ثم فسِّر»

وهو الأمر نفسه الذي أشار إليه أحد علماء التداولية والحجاج وهو (أوزفلد ديكر (Oswould Décret) حيث سن قوانين للتواصل والتبليغ كالآتي:

- قانون الاهتمام.
- قانون الإخبارية.
- قانون الاستقصاء.
- قانون التلطيف.

وإذا كانت القواعد والقوانين السابقة قد أولت عنايتها للمتكلم مدرسا أو مخاطبا، فإن للمستمع جمهورا أو تلميذا حظه كذلك من اهتمام الدارسين القدامى والمحدثين، ومن قواعد الاهتمام بالمستمع أو المتعلم الهدف ما يلي:

حسن سلامة السمع، حسن الإصغاء والانتباه، خاصة وأن السماع هو أبو الملكات عل حد تعبير عالم علم الاجتماع «ابن خلدون» رحمه الله، الرصيد اللغوي الكافي، الرغبة في التلقي وفي التواصل، القدرة على الربط والاستنتاج والتأويل، القدرة على الاعتراض والمناقشة والتأييد (طرح الأسئلة من أجل الفهم والإدراك والاستيعاب).



وحرى بالذكر، أن الأسئلة التي تحاول التداوليات الإجابة عنها تتفق تماما مع ما تدعو إليه المناهج الحديثة في العملية التعليمية، أو الخطاب التعليمي على وجه العموم، ومن أسئلة التداولية الآتي:

- ✓ من يتكلم؟ نوع المتكلم؟ معلم، شاعر، خطيب...
- ✓ إلى من يتكلم؟ نوع السامع؟ في درجة المتكلم نفسه؟ منصت جيد؟ نائم؟ متعلم؟
- ✓ ماذا نقول بالضبط حين نتكلم؟ نوع الرسالة المراد تقديمها؟ مادة تعليمية؟ تعليم مباشر؟ تعليم عن بعد؟ الرسالة يحددها السياق.
- ✓ ما هي مصادر التشويش والإيضاح؟ الغموض، اللبس.
- ✓ كيف نتكلم بشيء ونريد قول شيء آخر؟ (التأويل، البلاغة، الانزياح، الأسلوب، الجمالية الشعرية...) وهذا بالنسبة للتلاميذ في المراحل التعليمية المتقدمة.

وتستدعي الإجابة عن هذه التساؤلات استحضار مقاصد التخاطب والتحاور والتواصل (الإلقاء والأداء التعليمي) وأفعال اللغة ببعديها المقاصدي المقالي والتداولي وهذا تحدده نية المتكلم (قصده) ووظيفة الكلام (المادة التعليمية) وسياق الموقف (المدرسة والمستوى التعليمي للتلميذ).

وإذا كنا قد عنواننا بحثنا بـ «تعليمية اللغة العربية في ضوء المنهج التداولي (التعليم الابتدائي في الجزائر بين الواقع والمأمول)»، فلأننا رأينا أن التعليم منذ القديم يسير على خطى التيار التداولي، وإن لم تكن مصطلحات المنهج التداولي متداولة في عصور مضت، فإن مبادئها هي تلك التي تعتمد عليها كل مجالات الحياة وخاصة مجال التواصل اللغوي العام؟

فلا ضير أن يكون بحثنا للتأكيد على مبادئ التداولية في العملية التعليمية، ولكن المنهج التداولي لم ينطلق من العدم، ولا يمكنه أن يؤتي ثماره إلا بتضافره مع مناهج أخرى نعتبرها ثابتة مهما تغيرت ظروف العصر، وفي مقدمة هذه المناهج المنهج الوصفي الذي يقوم على الملاحظة والتجريب، والمنهج الافتراضي الذي عماده المثير والاستجابة، بالإضافة إلى الاستقراء والاستنباط والتحليل من أجل الوصول إلى نتائج إيجابية تجلّى معالمها في الكفاية التواصلية والإنتاجية.

ونحن ندعو من خلال هذه الورقة البحثية إلى استثمار مبادئ التداولية بوعي وإدراك لا بطريقة عشوائية في العملية التعليمية خاصة في مجال تدريس اللغة العربية في المراحل الأولى بالأساس، لأن التداولية تدرس اللغة في الاستعمال أي معالجة اللغة من خلال أدائها وظيفتها التواصلية، أي إن التداولية تهتم بدراسة كل السلوكات والاستعمالات اللغوية لدى المتكلمين بلغة من اللغات في مجتمع معين، فهي تكشف عن سنن وقوانين هذه السلوكات.

وتمثل معطيات التداولية ثورة حقيقية في مجالات متعددة لأنها تعتبر المتعلم هو مركز العملية التعليمية بعد أن كان التركيز على المادة التعليمية، وتهدف المقاربة التداولية في تعليمية اللغات إلى اكتساب المتلقي كفاية تواصلية تمكنه من توظيف اللغة التي تعلمها في مختلف الوضعيات والمواقف الاجتماعية.

وانسجاما مع التصور التداولي، فإن المنهجية المقترحة في تعليمية اللغة العربية ينبغي أن تتبلور في خلق الرغبة لدى المتعلم الهدف وحثه على ممارسة النسق اللغوي بالتعبير الشفهي لمعرفة كيف يسمع، يعيد، يسأل، يجيب، يلاحظ، ويعبر بعد أن يكون قد تلقى المبادئ الأولى من أبجديات حروف ومفردات اللغة العربية، ومقارنتها بما في مخزونه حول الأشياء المحيطة به، تلك التي يفهمها.



وفي مجال المنهجية يقول «محمد الدريبي العلوي»: «والمنهجية على هذا الأساس عند واضعها تحرص على تدريب المتعلم على عملية التمييز والموازنة لتنمو لديه تدريجيا القدرة على الحكم، فالقراءة والكتابة والتمارين البنوية وتمارين التفكير كلها نسق يخدم تعليم وتعلم اللغة العربية».

يتجلى من خلا ما أورده الدريبي ثلاث درجات من التعليم وهي: الاستيعاب والمواءمة والتوازن.

فالطفل أو التلميذ بصفة عامة كلما وجد نفسه أمام شيء أو شخص أو موقف فإنه يستوعبه بشكل من الأشكال يلاحظه ويميزه ويفهمه ويقوم بربطه بما يعرفه من قبل، أو يقوم بتصنيفه وتخزينه في الذهن، فإذا شاهد سيارة غريبة مثلا فإنه يعتبرها سيارة في كل الأحوال رغم غرابتها، وتأتي المواءمة بعد درجة الاستيعاب حيث تتم عملية تغيير المفاهيم والاستراتيجيات بحسب المعلومات الجديدة التي تلقاها ويسمى عالم النظرية البنائية «بياجيه» (piaget) هذه الاستراتيجيات (الاستيعاب والمواءمة) بالتصنيفات الذهنية أو الخطاطات الذهنية.

ويقود التوازن وهو ثالث درجة من درجات التعلم إلى تعديل الفروض الأساسية لدى المتعلم الذي يمثل من وجهة نظر (بياجيه) سلسلة من «النظريات» أو «الرؤى حول العالم» وبعد كل المراحل المعرفية والسلوكية يصبح المتعلم قادرا على اتخاذ القرارات بطريقة الاستقراء والاستنباط ومعالجة المشكلات (حل التمارين) وبشكل منظم، وهو قادر على التفكير في الأشياء أو الأفكار والصور الذهنية عن طريق تذكر وتصور الأشياء، وعلى هذا الأساس فالنمو المعرفي يكون نابعا من رغبة المتعلم ذاته لا بالتحفيز من قبل أطراف أخرى.

وبتضافر النظريات التعليمية، والمناهج العلمية الحديثة وباستثمار كل من المقاربة البنائية (كتاب قواعد النحو وحل التمارين) والمقاربة التداولية (اكتساب الكفاية التواصلية) يمكن لمتعلم اللغة العربية أن يتواصل بها، بل وينتج بها النصوص والخطابات وكل ما يحتاج إليه في مدرسته وفي مجتمعه وحتى مع غيره الناطق باللغة العربية الفصحى.

## 7. عرض إشكالية تعليمية النحو العربي

لا أحد ينكر الجهود التي تقدمها الدولة من أجل تطوير قطاع التعليم في الجزائر بكل أطواره، خاصة في الأطوار الابتدائية الأولى لأنها المادة الخام التي هي أساس كل المراحل التعليمية اللاحقة، إلا أن ما نلاحظه هو أن تلامذتنا لا يستوعبون مادتي النحو والرياضيات بالدرجة التي يتمنى كل معلم أن يبلغها تلامذته، ونتساءل هنا: أين الخلل؟ ومن السبب؟ هل هي قدرة التلميذ؟ هل هي طريقة المعلم؟ هل هذا ناتج عن كثافة البرامج؟ هل يرجع السبب إلى المنهج؟

هي أسئلة قد أحلناها على التداولية والجواب هو أن كل التساؤلات المطروحة لها نصيب من الخلل في عدم إدراك معظم التلاميذ لمادة النحو خاصة.

يسعى صناع القرار في كل مرحلة من مراحل بدايات الموسم الدراسي إلى انتهاج استراتيجيات تعليمية جديدة مدروسة من قبل نخبة مختارة من طرف وزارة التربية لتقديمها إلى النشء، لكننا نرى أن المشكل ليس في مادة النحو، فقد استوعبناها نحن في زمننا، دون وسائل تكنولوجية معينة ولا دروس خصوصية، ولا حتى كتاب مدرسي خاص بالتلميذ، كان المعلم هو كل شيء هو المعلم وهو الكتاب وهو الحل وهو الموجه.

إننا والحالة هذه نرجع أسباب تدني مستوى التلاميذ في كثير من المواد وخاصة النحو العربي إلى كثرة وكثافة البرامج أولاً، ثم إلى ابتعاد الأمثلة النحوية عن واقع ومحيط التلميذ، وإلى إرهاق كاهل التلميذ المبتدئ بالتمارين المنزلية في كل مادة: لغة عربية، رياضيات، تربية مدنية، فيزياء، ... ومن أجل هذا فنحن نقترح تدريس المواد الأساسية في المراحل الابتدائية كمادة اللغة العربية بكل مستوياتها خاصة النحو والقراءة والكتابة ثم مادة الرياضيات ومادة التاريخ والرياضة والرسم، وفي السنة الثانية نضيف مادة أو اثنتين تربية إسلامية وفيزياء، وفي السنة الثالثة نضيف مادة واحدة وفي السنة الرابعة نضيف اللغة الفرنسية على أن تطور المواد الأساسية: لغة عربية، رياضيات، تاريخ، رياضة ونتخلى عن الرسم والأشغال اليدوية والمواد التي لا يمتحن فيها التلميذ.

وإذا ما كنا نريد خيراً لهذا النشء فإننا نقترح أن يكون التدريس أو تلقي مادة النحو العربي من خلال نصوص أدبية تراثية جميلة، يقوم المعلم بعد قراءتها من قبل عدد من التلاميذ إلى تدوين الأمثلة على السبورة، على أن تكون النصوص الأدبية مفرداتها ليست عصية الفهم على التلاميذ، وبعد قراءة كل مثال يتم استخراج القاعدة الجزئية وإعطاء أمثلة متنوعة من قبل التلاميذ تدون على السبورة مع الضبط بالشكل وبعد استنتاج القاعدة العامة أو الكلية يكلف المعلم التلاميذ بانجاز التمارين الموجودة في الكتاب أو بإعطائهم أمثلة من محيطهم المعاش على أن يحفز الطلبة على الحديث والتخاطب باللغة العربية الفصحى أو السليمة، وتكليفهم في كل مرة ببحث عن عالم من علماء النحو العربي حتى يتم ربط القواعد بصاحبها طبعاً بالنسبة للتلاميذ في المراحل المتقدمة بعد السنة الأولى.

وقد يعترض معترض على دعوتي هذه، وقد يكون على حق لو لم تكن وسائل البحث التكنولوجية ميسرة اليوم لكل التلاميذ؟، أعتقد من وجهة نظري أننا بهذا التكليف سنعود التلميذ على عملية البحث العلمي وعلى الاحتكاك بالشبكات العنكبوتية أو بالحاسوب من أجل غايات علمية أسمى، بدل ملء محافظهم بكتب يفوق وزنها وزن كل تلميذ.

وانطلاقاً من واقع التعليم الابتدائي في الجزائر، ومن مستوى تدني مستوى التلاميذ في معظم المواد التعليمية واعترافاً بالمجهودات الجبارة التي قامت بها الدولة من أجل تطوير قطاع التعليم والرفع من مستوى النشء، فإننا نأمل لهذا الجيل مستقبل واعد وغد أفضل، ولكن هذا لا يتم إلا بإعادة النظر في البرامج والمناهج التعليمية لاختيار الأفضل وتطبيقه في قطاع التعليم بالإضافة إلى التخفيف من البرامج ومن المواد التي بالإمكان إدماجها أو تأخيرها إلى مراحل التخصص الجامعي.

وحتى تسير اللغة العربية التطورات الحاصلة، ينبغي تدريسها في كل المراحل التعليمية وفي كل التخصصات قبل الجامعة وفي الجامعة حتى لا تكون هناك مقاطعة بين الطبيب ولغته ولا بين المهندس ولغته وهكذا؟

كما يجب عدم الإنقاص من أهمية اللغة العربية لأنها قبل كل شيء هي لغتنا الرسمية والوطنية، ولغتنا التي نتواصل بها مع الآخر، لغتنا التي نبدع وبها نتواصل وبها نؤدي عبادتنا، بالإضافة إلى أنها رمز هويتنا، وشعب بلا هوية شعب نكرة، والشعب الذي لا يطور لغته لن يتطور أبداً، ونحسب أن التعليم الابتدائي هو الغاية والمنتهى لرقى اللغة العربية، ونعتقد أن التداولية هي المنهج الذي يجعلنا ندرك ماذا نقدم للتلميذ؟ وماذا سنحقق؟ لأنها تمثل العلم الذي يدرس مقاصد المتكلمين وطبعاً لا يوجد متكلمين لا يفكرون، ولا تفكير بدون لغة!.

## 8. قائمة المصادر والمراجع :

- أحمد أوزي: التعليم والتعلم الفعال، منشورات العلوم الترتيبية، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2015،
- أحمد أوزي: بيداغوجية فعالة ومحددة كفايات التعليم والتعلم الجديدة للقرن الواحد والعشرين، مطبعة النجاح، الدار البيضاء، المغرب، ط01، 2017،
- محمود فوزي المناري: العلم واللغة (من يتكلم العلم العربية؟)، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، د.ط، 2013.
- مصطفى غلفان: اللسانيات التوليدية، دار كنوز المعرفة، الأردن، ط01، 2016.
- المصطفى الإدملود: أسئلة التجديد التربوي، دار الثقافة، الدار البيضاء، المغرب، ط02، 2012.